المذهب النحوي في البصرة

- تطور النحو البصري عند الخليل :

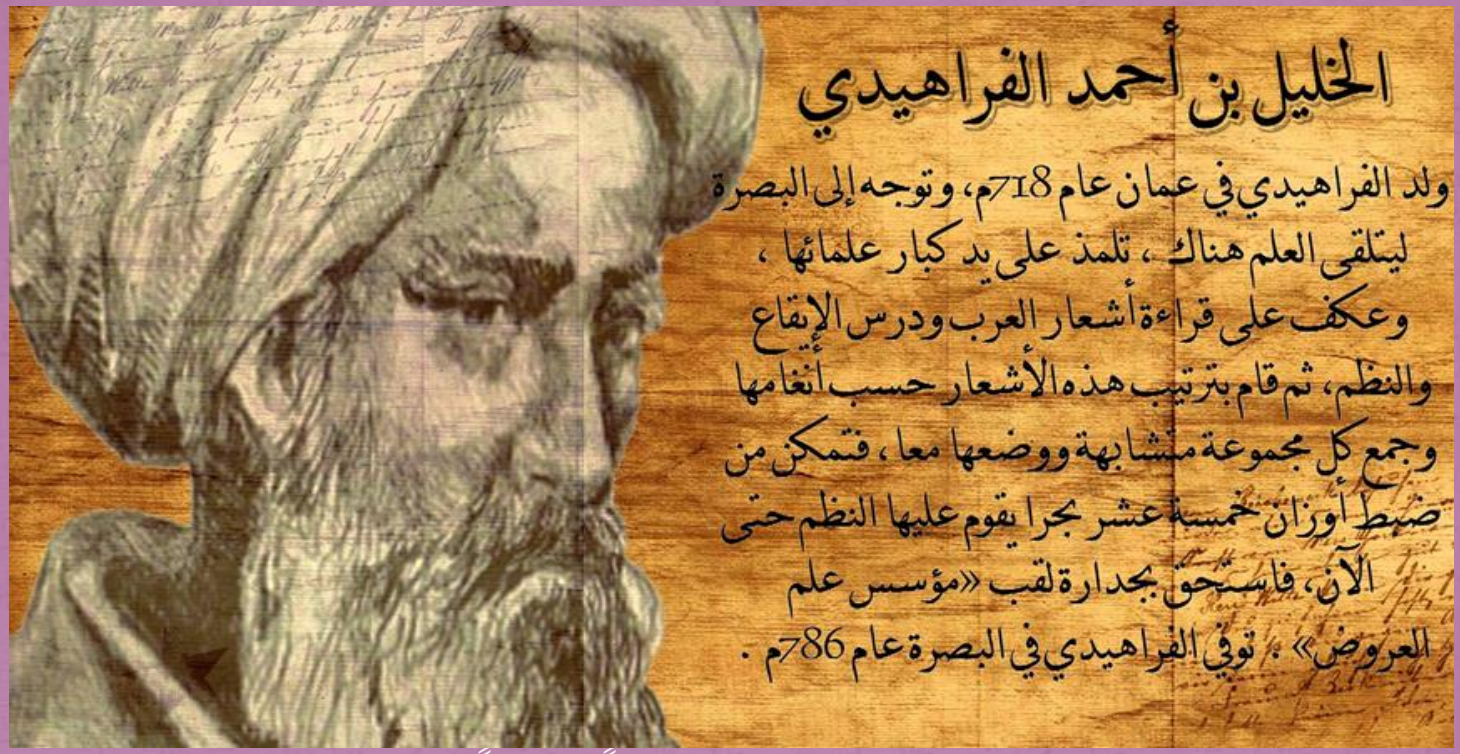

- وصل النحو الى الخليل بعد أن قطع شوطاً كبيراً من التطور بفضل أعلام النحو الذين سبقوه من وضع النصوص والأقيسة والتعليل والتأويل وافتراض ..... الخ.
- وكان الخليل حلقة وصل بين هذا الجزء وبين تطويره هذا المسلك ليصل به الى ما وجِد عند سيبويه (١٨٠ هـ) .

- **اسمه**: أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري (١٠٠ – ١٧٤أو ١٧٥هـ)
- **مولده** : وُلِدَ في البصرة عام ١٠٠هـ
- **تعليمه** :أخذ النحو والقراءات والحديث على أئمة العربية وعلية الرواة كأبي عمر بنِ العلاء وعيسى بن عمر . ثم أبدى فسمع الفصيح وجمع الغريب حتى نبغ في اللغة نبوغاً لا يعرفه التاريخ لغيره .وانكب على العلم يستنبط ويؤلف ويعلم .
- حدث عن : أيوب السختياني ، وعاصم الأحول ، والعوام بن حوشب ، وغالب القطان . أخذ عنه سيبويه النحو ، والنضر بن شميل ، وهارون بن موسى النحوي ، ووهب بن جرير ، والأصمعي ، وآخرون .

- مرَّالخليل بسوق النخَّاسين، فسمع طرقات مطرقة على طَست من نحاس، فلمعت في ذهنه فكرة عِلم العَرُوض -ميزان الشعرأو موسيقى الشعر- الذي مَيز به الشعر عن غيره من فنون الكلام، فكان للخليل بذلك فضل على العرب، إذ ضبط أوزان الشعر العربي، وحفظه من الاختلال والضياع ، وقد اخترع هذا العلم وحصر فيه أوزان الشعر في خمسة عشر بحرًا وكما اهتم بالوزن اهتم بضبط أحوال القافية -وهي الحرف الأخير في بيت الشعر، والتي يلتزم بها الشاعر طوال القصيدة- فأخرج للناس هذين العلمين الجليلين كاملين مضبوطين مجهزين بالمصطلحات.

- ولم يكتف الخليل بما أنجزه، وبما وهبه الله من علم" استجابة لدعائه وتوسلهوتضرعه،

فواصل جهوده وأعدَّ معجمًا يعَد أول معجم عرفته اللغة العربية، وامتدت رغبته في التجديد إلى عدم تقليد من سبقوه، فجمع كلمات المعجم بطريقة قائمة على الترتيب الصوتي، فبدأ بالأصوات التي تُنْطَق من الحَلْق وانتهي بالأصوات التي تنطق من الشفتين، وهذا الترتيب هو (ع- ح- هـ- خ- غ...) بدلا من (أ- ب- ت- ث- ج ...) وسمَّاه معجم (العين) باسم أول حرف في أبجديته الصوتية.

-وكان رأسا في لسان العرب ، دينا ، ورعا ، قانعا ، متواضعا ، كبير الشأن ، يقال : إنه دعا الله أن يرزقه علما لا يسبق إليه ، ففتح له بالعروض ، وله كتاب : "العين" ، في اللغة . وثقه ابن حبان . وقيل : كان متقشفا متعبدا .

- ذخرا يكون كصالح الأعمال وكان -رحمه الله- مفرط الذكاء . وكان هو ويونس إمامي أهل البصرة في العربية ، ومات ولم يتمم كتاب "العين" ، ولا هذبه ، ولكن العلماء يغرفون من بحره . قال ابن خلكان : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي قيل : كان يعرف علم الإيقاع والنغم ، ففتح له ذلك علم العروض . وقيل : مر بالصفارين فأخذه من وقع مطرقة على طست وهو معدود في الزهاد ، كان يقول : إني لأغلق علي بابي ، فما يجاوزه همي .

- **فضله وزهده :**

-وكان من زهده في دنيا المادة أن ابتعد عن التزلُّف لرجال الحكم، فلم يقف عند أبوابهم متملِّقاً يرجوعطاءهم، أو مادحا يتطلَّع إلى نوالهم، وكثيراً ما ردَّ بإباء ما كانوا يعرضونه عليه من عروض مغرية. ويحكى أنَّ سليمان بن علي والي المنصور العباسي على الأهواز طلب منه أن يتولَّى تعليم أولاده، وبعث إليه هدايا بها إغراءه، فما كان منه إلاَّ أن أخرج لرسول الوالي كسرة خبز يابسة قائلاً: «ما دامت هذه عندي فلا حاجة لي إلى الوالي سليمان، أبلغه عني ذلك»، ولم يتهاون أمام إلحاح ابنه عبد الرحمن الذي رآها فرصة للخروج من ضيق الأخصاص إلى دنيا القصور، بل إنَّ الخليل حمَّل ذلك الرسول أبياتا تعبِّر بصدق عن هذه الخلة العظيمة التي تميز بها واشتهر: قال الخليل:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة ------- وفي غنى غير أني لست ذا مال
سخيٌّ بنفسي أني لا أرى أحدا ------- يموت هزلا ولا يبقى على حالِ
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصُهُ ------ ولا يزيدُكَ فيه حولُ محتالِ
والفقر في النفس لا في المال نعرفه -------- وَمِثلُ ذاك الغنى في النفس لاالمال

- وكان سليمان هذا قد رتَّب له راتبا فقطعه عنه انتقاما لموقف الخليل منه، فما ازداد الخليل إلاَّ إيمانا وقناعة قائلا:

إنَّ الذي شق فمي ضامن لي الرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالا قليلا فمازادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان هذه الأبيات فأقامته وأقعدته، وكتب إلى الخليل معتذراً، وضاعف جائزته له، فقال الخليل:

وزلة يُكثر الشيطانُ إن ذكرت * * * * * منها التعجبَ جاءت من سليمانا

لا تعجبن لخير زل عن يده * * * * * فالكوكب النحس يسقي الأرض أحياناً

- **أشهر تلامذة الفراهيدي**

سيبوية حيث تتلمذ سيبويه على يد العديد من كبار الشيوخ والعلماء الذين عاشوا في عصره إبان الدولة العباسية ، ونخص بالذكر عبقري العربية وإمامها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو أكثرهم تأثيرًا فيه، ، دون سائر أساتذة سيبويه حيث كان الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب (العربية) ومنشىء علم العروض ومؤلف كتاب العين وأحد أعظم أساتذة النحو واللغة في عصره. استفاد سيبويه ايما استفادة من معلمه الخليل فقد روى عنه سيبويه في الكتاب ٥٢٢ مرة، وهو قدر لم يروِ مثله ولا قريبًا منه عن أحد من أساتذته، وهو ما يجسد خصوصية الأستاذية التي تفرد بها الخليل بن أحمد رحمه الله .

-حياته العلمية

وعندما نتحدَّث عن العوامل التي كوَّنت هذه العبقرية، تجيء بيئةالبصرة في مقدِّمتها" ونعني ببيئة البصرة كلَّ الجوانب المكوِّنة لها: الثقافية،والاجتماعية، والطبيعية أيضا. فيتوجُّه الخليل نحو الإبداع في المجالات التي عُرف بها، وعلى رأسها الإبداع في المجال اللغويوالعروضي.

يقرِّر بعض الدارسين أنَّ الخليل أدركته طفولته بأحضان مدينة البصرة، ولعلَّه لم يتجاوز السادسة من عمره، كما تدلُّ على ذلك حكايته مع الفرزدق، حيث كان صبيا يلهو مع صبية البصرة في شوارعها.

ويفترض أنَّه كان يعيش بمحلَّة الأزد عشيرته، وهي محلَّة مشهورة معروفة في المصادر الأدبية واللغوية والتاريخية، وموقعها من الشمال الغربيِّ من المدينة، إلاَّ أنَّه قد مرَّبنا أنَّه كان يعيش من بستان خلَّفه أبوه في الخُريبة، وكان لبني بكر وأهل العالية، ولبني تميم دساكر في الخريبة، ومن هنا نستخلص أنَّ الخريبة كانت منطقة بساتين وليس من المحتَّم أن يعيش فيها أصحابها، فإنَّنا نرى هذا كثيرا في المناطق المعروفة ببساتينها، فقد يملك أو يؤجّر أحدٌ بستانا قد يكون بعيدا أو قريبا من محلِّ سكناه، وليس من الضروري أن يكون ساكنا فيه.

- **علم العروض**
- طرأت ببالهِ فكرة وضع علم العروض عندما كان يسير بسوق الصفارين، فكان لصوت دقدقة مطارقهم على نغم مميز ومنهُ طرأت بباله فكرة العروض التي يعتمد عليها الشعر العربي. فكان يذهب إلى بيته ويتدلى إلى البئر ويبدأ بإصدار الأصوات بنغمات مختلفة ليستطيع تحديد النغم المناسب لكل قصيدة.

- -وعكف على قراءة أشعار العرب ودرس الإيقاع والنُظُم ثم قام بترتيب هذه الأشعار حسب أنغامها وجمع كل مجموعة متشابهة ووضعها معا، فتمكن من ضبط أوزان خمسة عشر بحرًا يقوم عليها النُظُم حتى الآن وهي ((الطويل-المديد البسيط)) وتعرف بالممتزجة، ((الوافر-الكامل-الهزج-الرجز-الرمل-السريع-المنسرح-الخفيف-المضارع-المقتضب)) وتسمى السباعية لأنها مركبة من أجزاء سباعية في أصل وضعها، وآخران هما ((المتقارب-المتدارك)) يعرفان بالخماسيين إلا بحر المتدارك المحدث فإن واضعه هو الأخفش الأوسط تلميذ سيبويه ، فأصبح مؤسس علم العروض.

- **مؤلفاته**

كتاب معجم العين وهو أول معجم في العربية وقد فكر فيه الخليل بن أحمد وطلب من تلميذه الليث بن المظفر الكناني أن يكتب عنه ثم بعد موته أتم تلميذه هذا الكتاب.

كتاب النّغم .

كتاب العروض .

كتاب الشواهد .

كتاب النقط والشكل.

كتاب الإيقاع .

كتاب معاني الحروف

- **آثاره الأخرى في اللغة**

- -ترك كتاباً في العوامل ، وألف في الإمالة وأشهر كتبه في اللغة كما ذكرنا (العين) وكتاب (الشواهد) .
- - تردد على البادية وسمع الأعراب ، وكان كثير الرحلات الى الحجاز لأداء الفريضة ، ووصل خراسان والأحواز ، وزار بغداد .
- -قيل فيه انه أعظم نحوي حملته الأرض ، وانه اعظم نحوي عبر العصور

- وقيل: (كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه)
- وقيل : (لم يكن أعلم بالنحو منه) وجاء في النحو من تصحيح القياس ما لم يأت به أحد وفي ذلك ايضا في التصريف .
- بلغ النحو على يديه مرحلة النضج وذلك :
- من خلال آرائه في علوم العربية :

النحو ، الصرف ، اللغة ← الاعلال، الابدال، القلب

- ويطرح سؤال هنا : لماذا اهتم بها الجانب ؟ لأنة مهتم بالقراءات أو هو من القراء .
- ففي كل هذه المسائل آراؤه تعد العمود الفقري لمعظم ابواب كتاب سيبويه ، عدا أبواب النسب والامالة وغيرهما .
- فهو واضع مصطلحات أكثر الأبواب مثل : المسند والمسند اليه والفاعل والمفعول ...الخ
- وضع الأقيسة مكملا بذلك جهود شيوخه في بناء القواعد معتمداً على كلام العرب الذي سمعه في مجالسهم وناقشه وتباحث معهك فيها .

- لجأ الى القول بتقدير العوامل التي يستدعيها المعنى اللغوي وتنسجم معه .

مثل نظري العامل في كان وأخواتها وهي فعل ، وإن وأخواتها وهي حرف من حيث قوة كل منهما انها (عملت عملين) الرفع والنصب ، كما عملت (كان) الرفع والنصب:

حين تقول (كان أخاك زيدٌ)

الا أنه ليس لك ان تقول (كأن أخوك عبدالله) وتريد (كأن عبدالله أخوك)

لأنها لا تصرف تصرف الأفعال ولايضمر فيها المرفوع كما يضمر في (كان) ولم يفرقوا بينهما كما فرقوا بين (ليس) و (ما) فلم يجروها مجرها .

- واستخدامه للقياس كثير جداً ومن أقربه : رد ما عليه القياس في قوله في مجئ المنادى العلم المختوم بالتاء مفتوح الآخر (يا طلحةَ أقبل) وهو مثل (يا تيمَ تيمِ عدي) والقياس الرفع في (طلحة) و (تيم) .
- وفي الأصول كان يعتمد على السماع كثيراً – ويعتد به – وهو يجده الأصل الذي وضعت عليه الأقيسة .
- واستخدم معايير للمسموع مثل (المطرد) و(الحسن) و (الكثير) و (الغالب) و(النادر) ، و (الشاذ) .

- فالمسموع عنده هو الأصل ، فإذا تعارض السماع والقياس لجأ الى السماع ، كما في تسمية رجل بـ(فو) فقالت العرب قد كفتنا أمر هذا ، لما أفردوه قالوا (فم) فأبدلوا(الميم) مكان (الواو) حتى يصير الى منال تكون الأسماء عليه.

- فاذا سميته بهذا فشبهته بالأسماء كما شبهت العرب ، ولو لم يكونوا قد قالوا (فم) لقلت (فوه) لأنه من (الهاء) قالوا (أفواه) كما قالوا (سوط) و (أسواط) .

- ومنهجه في القراءات هو الاعتداد بالقراءات عكس الكسائي والفراء اللذان كانا أقل من ذلك .
- أما في دراسته للأبنية والأساليب فقد كان موسعاً لها اعتماداً عل ظاهرة الافتراض :
مثل ليس = لا + أيس
أينما = أين + ما الزائدة ، مثل : (مهما) = ما الشرطية + ما الزائدة
لن = لا + أن ثم خففت بحذف الهمزة .

خصائص المذهب النحوي البصري

١- اعتمدوا على السماع:

أ - من خلال الخروج الى البادية.

ب- أو من خلال السماع ننم يفدون في المواسم الأدبية الى المربد .

فكانت المادة المسموعة موزعة بين : الفصيح

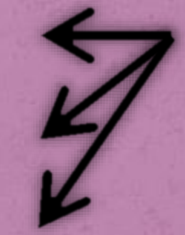

مطرد

شائع

كثير

والأفصح وسموا ما خالف هذا الفصيح (باللغة) وان كانت ظاهرة مفردة سموها (الشاذ)

٢- وضعوا الأقيسة كما بينا على الكثير المطرد من كلام العرب المسموع وأول هذا الكلام المسموع هو كلام الله تعالى ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجعلوا هذه الأقيسة ثابتة منذ زمن الخليل .

واللغات (اللهجات)التي اتصفت بالفصاحة هي :

- قريش وهي افصح اللغات .
- قيس
- تميم واسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين .

أما الشعر فقد استشهدوا باشعار الشعراء من الطبقات التي وضعها ابن رشيق القيرواني في كتابه (العمدة) : وهي

- طبقة الشعراء الجاهليين .
- وطبقة المخضرمين .
- وطبقة متقدمي الأسلاميين كجرير والفرزدق والاخطل ومن عاصرهم .

وبإبن هرمة وقف الاحتجاج عند البصريين .

٣- وقفوا من القرآن الكريم وقراءاته موقف المدافع عما يرد في الكتاب العظيم ، فقاسوا على آياته ما أجازوا من قواعد .

٤- اخرجوا القراءات الشاذة من المسموع .

٥- اما الاحتجاج بالحديث النبوي فقد كان ابو الحسن بن الضائع (ت ٦٩٠ هـ) هو أول من تنبه على أن ابن خروف قد احتج بالحديث وخالف بذلك سنة النحاة السابقين .

أبو الأسود الدؤلي

(١) بصرية

نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ)

عنبسة الفيل (ت ١٠٠هـ)

عبدالرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧ هـ)

يحيى بن يَعْمَر العَدْواني (ت ١٢٩ هـ)

(٢) بصرية

ابن ابي اسحق الحضرمي (ت ١١٧هـ)

عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ)

ابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٩ هـ)

(٣) بصرية

(١) كوفية

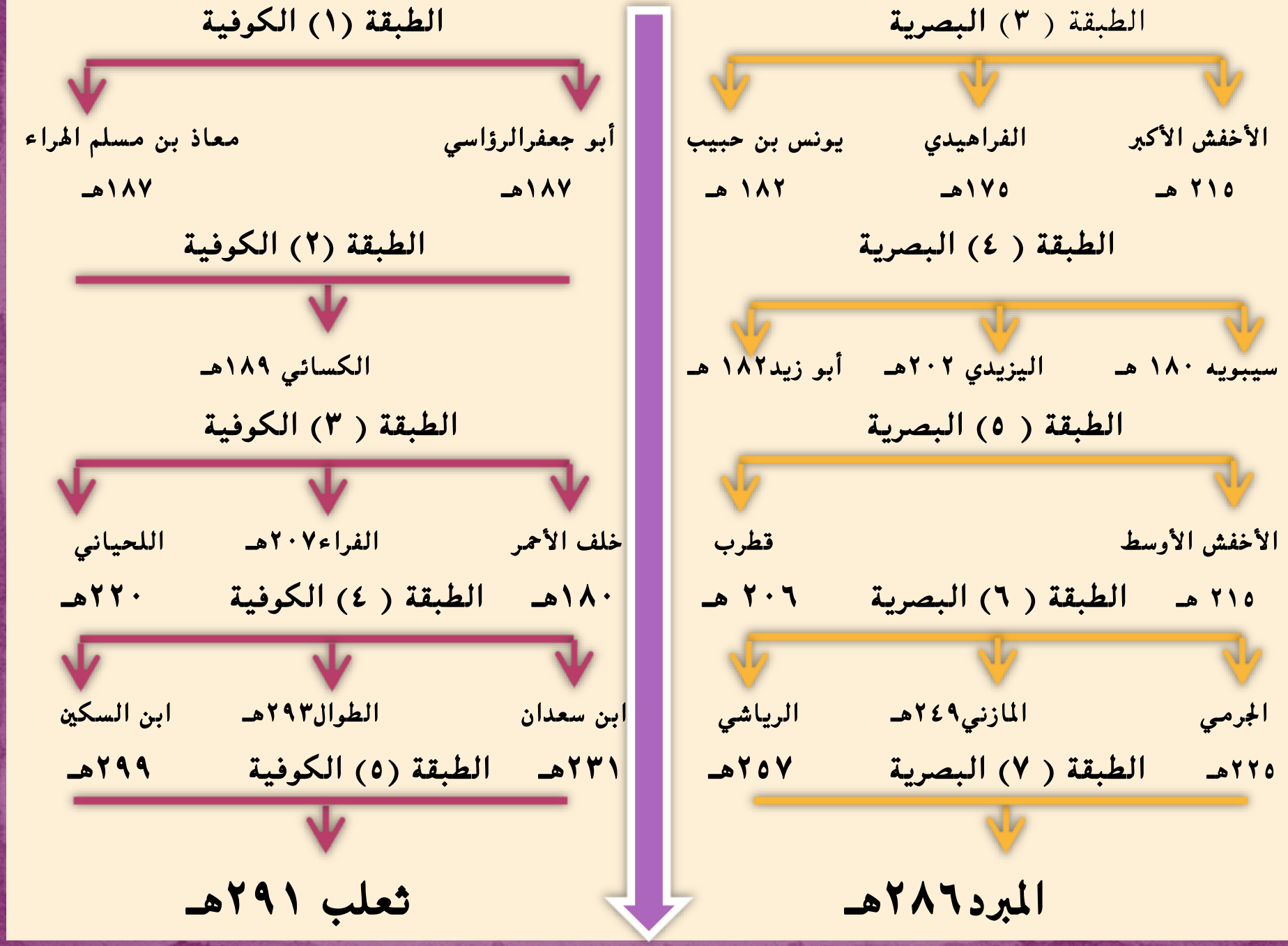
الطبقة (١) الكوفية
أبو جعفرالرؤاسي
١٨٧هـ
معاذ بن مسلم الهراء
١٨٧هـ
الطبقة (٢) الكوفية
الكسائي ١٨٩هـ
الطبقة (٣) الكوفية
خلف الأحمر
١٨٠هـ
الفراء٢٠٧هـ
اللحياني
٢٢٠هـ
الطبقة (٤) الكوفية
ابن سعدان
٢٣١هـ
الطوال٢٩٣هـ
ابن السكين
٢٩٩هـ
الطبقة (٥) الكوفية
ثعلب ٢٩١هـ
الطبقة (٣) البصرية
الأخفش الأكبر
٢١٥ هـ
الفراهيدي
١٧٥هـ
يونس بن حبيب
١٨٢ هـ
الطبقة (٤) البصرية
سيبويه ١٨٠ هـ
اليزيدي ٢٠٢هـ
أبو زيد١٨٢ هـ
الطبقة (٥) البصرية
الأخفش الأوسط
٢١٥ هـ
قطرب
٢٠٦ هـ
الطبقة (٦) البصرية
الجرمي
٢٢٥هـ
المازني٢٤٩هـ
الرياشي
٢٥٧هـ
الطبقة (٧) البصرية
المبرد٢٨٦هـ